

12. ضياع حق تلاميذ المدرسة العمومية في إتقان اللغة الفرنسية

1. أهمية ووجاهة تدريس اللغة الفرنسية بالمغرب انطلاقاً من الأولى ابتدائي

كفاية التواصل شفويا وكتابة باللغة الفرنسية أصبحت، أكثر من أي وقت مضى، ضرورة ملحة بالمغرب. فمن أجل التنمية المستدامة ورفع تحديات العولمة في كل الميادين العلمية منها و الثقافية والصناعية والتجارية، كل لغة أجنبية من اللغات الحية، تعتبر اليوم حتى بالعالم المتقدم، قيمة مضافة لا يمكن الاستغناء عنها. و بالإضافة إلى اللغة الإسبانية، اللغة الفرنسية المتواجدة بالمغرب، هي من اللغات الحية التي يُعَوَّل عليها في التقدم العلمي والتكنولوجي والتجاري والصناعي. و ذلك بالنظر لغزارة الإنتاج العلمي والتكنولوجي بها و تواتر ترجمة إنتاجات باقي اللغات إليها. و ليس ذلك مع الأسف الشديد هو حال لغتنا العربية. و ليس القصور فيها لأن أية لغة ما هي إلا مجرد وعاء يملأه أصحابها بما شاءوا، و لكن القصور فينا نحن العرب لقلّة إنتاجنا للعلم من بين الأمم و لتقصيرنا في الترجمة المتواترة إلى لغتنا للإنتاج الغزير من باقي اللغات الحية.

صحيح أنه لا توجد دولة متقدمة معتمدة على غير لغتها في كل أسلاك تعليمها. و لكن أهلها لهم مؤسسات علمية تسهر على ترجمة كل المستجدات العلمية الغزيرة حتى لا يكونوا في حاجة إلى التوصل إليها عند الحاجة بغير لغتهم. و فطن الكيان الصهيوني إلى أن التقدم رهين باستعمال اللغة المحلية في كل الميادين فعمل على إحياء اللغة العبرية التي كانت شبه ميتة، و لكنه يتوفر على علماء هاجروا إلى الأرض المغتصبة من كل الدول المتقدمة متقنين للغاتها و يترجمون منها كل مستجد علمي للعبرية.

أما بالنسبة للعرب، مع الأسف الشديد، فأمام الشبكة العنكبوتية على سبيل المثال، من لا يجيد منهم اليوم إلا لغته من غير اللغات الغربية، يجد نفسه يسبح في بحر من بحور المعرفة ضيق جدا و جد محصور. و كلما كان العربي ذا كفاية تواصل بلغة غربية كلما توسعت قدرته على النهل من محيط أوسع من محيطات المعرفة المتوفرة. ليس فقط بالشبكة و إنما من كل مصادر العلم المتجدد باستمرار و بو نية جد سريعة. و على هذا الأساس، و إلى حين قيام العرب بواجبهم نحو لغتهم، فتبقى الفرنسية بالمغرب مع الإسبانية بشماله و جنوبه، مكاسب و جب عدم التفريط فيها بل من الحكمة العز عليها بللنواجذ.

2. صواب ووجاهة عدم تعريب التعليم العالي بالمغرب

فبالنظر إلى ما سبق، المغرب جد مُحق في اتباعه سياسة عدم تع ريب التعليم العالي. اللغة الواجب أن تسود بالتعليم العالي بأي بلد و بكل موضوعية، هي التي لها قصب السبق في الإنتاج العلمي حين تكون اللغة المحلية مهمة من طرف أهلها. ففي هذا المجال:

- لا مكان و لا قيمة للشوفينية الزائدة و الفارغة.
- و لا خوف فيه على كل مقومات الهوية المغربية و منها كل اللغات المحلية بالبلاد و على رأسها اللغة العربية. بل بالعكس تماما، اللغة العربية تعنتي بإتقان أهلها لباقي اللغات الحية.

و خير دليل على عدم صواب التعريب المتطرف و المنغلق، هو كون جل المثقفين و السياسيين الذيم كانوا ينادون به، كانوا من السابقين لتعليم أبنائهم و بناتهم ب مدارس البعثات الفرنسية و الإسبانية و حتى الإيطالية، على حساب تعليمهم اللغة العربية بالمستوى الذي يليق بها.

و كل طالب مغربي اليوم، لا يجيد إلا اللغة العربية فهو مظلوم بعدم تمكينه من لغة حية أخرى غربية متوفرة بالبلاد. و بلتقانه للغة العربية لوحدها قد يصبح ضحية الإقصاء من أي تكوين بالتعليم العالي المحدود الاستقطاب أي المفتوح فقط في وجه المتفوقين من بين الطلبة. و يعني ذلك احتمال إقصاؤه من ولوج كل المدارس العليا و كل الشعب العلمية بكلياتها. و من كان محدود التكوين في اللغة الفرنسية، حتى و إن استطاع ولوج التعليم المحدود الاستقطاب،

ينطلق فيه بإعاقه. ينطلق من مسافة أبعد من نقطة انطلاق زملائه الم تمكنين من هذه اللغة. و تخسر بذلك البلاد جزءاً من نخبتها و طاقاتها البشرية.

3. واجب و ضرورة تعميم تدريس اللغة الفرنسية انطلاقاً من الأولى ابتدائي

تعميم كفاية التواصل باللغة الفرنسية ضرورة يقتضيها الحق في تكافؤ الفرص ببلادنا بين كل أبنائنا و بناتنا. و هذه الضرورة تقتضي أمران إثنان، على أولياء أمور تلاميذ التعليم الابتدائي العمومي الإلحاح على الوزارة من أجل توفيرها، و هي :

1) العودة إلى تدريس اللغة الفرنسية بالتعليم العمومي ابتداء من المستوى التحضيري.

و من مزايا هذا المطلب ما يلي :

أ) كان التعليم العمومي مزدوج اللغة انطلاقاً من السنة الأولى ابتدائي قبل و بُعيد الاستقلال و من دون مشاكل.

ب) و خرّجت مدارسنا العمومية خلال هذه الفترة من تاريخ البلاد، الأجيال المزدوجة التكوين في اللغتين التي بنّت و لا زالت حتى اليوم تبني هذا المغرب الحديث و تساهم بقوة في تنميته بفضل تكوينها اللغوي المزدوج.

ث) و التعليم الحر اليوم جد مُحق في مخالفته برامج الوزارة باعتماد تكوين مزدوج باللغتين ابتداءً، ليس فقط من التحضيري، بل من الروض. و هذا خير دليل على أن التعليم المزدوج اللغة يجب أن يكون مطلب كل الآباء. و ليس من الإنصاف التمييز في هذا الأمر بين أبناء و بنات من يستطيع الدفع مقابل خدمات التعليم الحر من جهة و باقي التلاميذ بالتعليم العمومي من جهة ثانية.

ث) و في هذا التمييز بين تلاميذ التعليم الحر من جهة و تلاميذ المدرسة العمومية من جهة ثاني، حرمان البلاد من التنمية البشرية الجيدة و المنشودة.

ج) و نتائج الامتحان الموحد الإقليمي لنيل شهادة الدروس الابتدائية تظهر تفوق تلاميذ التعليم الحر على زملائهم من التعليم العمومي ليس فقط في اللغة الفرنسية بل حتى في اللغة الفرنسية.

ح) و تعدد اللغات بالذهن يكسب صاحبه فطنة و حداقة أكبر في كل من تلك اللغات.

خ) و يجب إبدن عدم التمييز بين أبنائنا و بناتنا بالتعليم الحر من جهة و باقي أبنائنا و بناتنا بالتعليم العمومي من جهة ثانية، لأنه متنافي مع الحق في تكافؤ الفرص.

د) و المطلوب هو التسوية بينهم من الأعلى و ليس من الأسفل، أي بتعميم تعليم اللغة الفرنسية من بداية التعليم الابتدائي العمومي بموازاة تامة مع اللغة العربية و بنفس القوة، و ليس إجبار التعليم الحر على الاصطفاف من الأسفل مع التعليم العمومي في هذه النقطة.

ذ) و جل مدارس التعليم الحر موجودة بالأحياء الشعبية. فيعني ذلك أن تلاميذهم هم من نفس الأوساط الاجتماعية بل من نفس الأسر التي يأتي منها تلاميذ التعليم العمومي. و لم يشكل لهم ذلك التعليم المزدوج اللغة أية مشكلة كما لم يشكلها للأجيال الأولى من تلاميذ المدرسة العمومية التي كانت مزدوجة اللغة على الإطلاق. بل ميز كلاهما إيجابياً عن زملائهم بالمدارس العمومية اليوم.

ر) و عليه، و مرة أخرى مبدأ تكافؤ الفرص بين كل أبنائنا و بناتنا بكل من التعليم العمومي و التعليم الحر يقتضي الرجوع إلى تدريس اللغة الفرنسية من التحضيري بالمدارس العمومية.

ز) و هذا التعديل الضروري لن يكلف الوزارة زيادة و لو أستاذ واحد. فبدلاً من تدريس أستاذين لقسمين اللغة العربية صباح مساءً بالتحضيري و الابتدائي الأول، يدرس أحدهما اللغة العربية لفوج منهما في الصباح و للفوج الثاني في المساء، و الأستاذ الثاني يدرس اللغة الفونسية للفوج الثاني حين يكون الفوج الأول عند أستاذ اللغة العربية في الصباح، و يقع العكس في المساء.

2) العودة إلى تدريس مواد معرفية باللغة الفرنسية.

و كما سبقت الإشارة إليه في فصل سابق يجب أن يكون التركيز على الكفايات شأن تدريس كل المواد، ابتداءً من الثالثة ابتدائي على الأقل. من أجل ذلك تمكين تلاميذ مدارسنا من اللغة الفرنسية يقتضي العودة في

الابتدائي إلى تدريس مواد معرفية بالفرنسية كالرياضيات و بعض العلوم . فمن أجل توطيد الكفاية التواصلية باللغة الفرنسية شفويا و كتابة من جهة و من أجل الإعداد القبلي لكل الشُعَب العلمية المُدرّسة بهذه اللغة في التعليم العالي من جهة ثانية, يجب العودة إلى استخدامها كأداة تحصيل في الرياضيات و النشاط العلمي بالتعليم الابتدائي, و مواصلة ذلك النهج بباقي الأسلاك.

كتابة تعليق	الرجوع إلى الصفحة الرئيسية.....
-----------------------------	---